

AL BAYAN

السنة السادسة والثلاثون. العدد ٤٠١. محرم ١٤٤٢ هـ. سبتمبر ٢٠٢٠م

فلا تذهب نفسك عليهم

حسرات

علمنة الديـن

ماذا بعد هدم المسجد البابـري؟

سيناريوهات
ما حدث في لبنـان

وثائق (جنيزة القاهرة)
وأهميتها التاريخية!








مجلة البيان
إسلامية . شهرية . جامعة

رئيس مجلس الإدارة
أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

رئيس التحرير
أحمد بن عبد المحسن العساف

مدير التحرير
د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير
د. يوسف بن صالح الصغير
أحمد عمرو

خدمة العملاء

السعودية
ص. ب: ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦
الهاتف الموحد: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير
editors@albayan.co.uk
التسويق
sales@afaqpub.com
العلاقات العامة
pr@albayan.co.uk

الموزعون

السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: ٠١١٤٨٧١٤١٤

المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش. جمال بن أحمد. ص. ب: ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩

تونس: الشركة التونسية للصحافة ٣ نهج المغرب - تونس ١٠٠٠ ص.ب: ٧١٩ هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩
فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk





اشتراكات البيان Whatsapp & SMS
٠٠٩٦٦٥٥٤١٩٢٤١٣

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آيبان: SA٠٦٨٠٠٠٠٣٥٥٦٠٨٠١٥٣٣٥٣٣٥

الاشتراكات

السعودية	١٢٠	ريالاً سعودياً
دول الخليج	٢٢٠	ريالاً سعودياً
بريطانيا وأيرلندا	٤٧	يورو
أوربا	٥٥	يورو
الدول العربية وإفريقيا	٤٥	يورو
أمريكا وبقية دول العالم	٥٥	يورو
المؤسسات الرسمية	٦٠	يورو



الافتتاحية

قضايا تربوية

قضايا دعوية

صفحات من الاستعمار

نص شعري

المسلمون والعالم



[كلمة صغيرة]

انفجار وربما أكثر!

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه، وبعدُ:

من النادر جداً أن تكون الأحداث الكبيرة خاليةً من مسؤولية مباشرة أو غير مباشرة، ويمكن إجراء هذا الحكم على الانفجار الضخم الذي وقع في مرفأ بيروت جالباً معه الموت و (الدمار) والخسائر وفواجع محزنة، وفاتحاً الباب أمام التكهنات بجميع الاتجاهات.

فبعده مباشرة أشارت أصابع الاتهام نحو أطراف عديدة، قريبة أو بعيدة، ذات مصالح ووكلاء في لبنان سواء أكانت ظاهرة أم خفيَّة، وأحدث بعض المعلقين مسارات أخرى لتفسير الحدث ما بين اعتداء خارجي بآلة حرب، أو إهمال متعمَّد من حكومة لا تحمل صفة المسؤولية الرشيدة، وأيّاً كان فوفرة الاحتمالات تدلل على كيان عليل تتناوشه البلايا من كل ناحية!

ومع أننا نسأل الله للبقعة العزيزة في لبنان وفي جميع بلدان العالم المسلم والمسالم أن ينعموا بالسلامة والسلم والأمن إلَّا أنه يجب ألَّا نغفل عن جميع الاحتمالات، وأن نورد جميع التساؤلات؛ كي لا تتكرر هذه المأساة في المكان نفسه أو في غيره من المواقع القريبة أو البعيدة؛ حتى لا تغدو الموانئ العربية والإسلامية على موعد مع المفاجآت التي قلَّما تكون سارَّة.

لذلك ما يزال السؤال قائماً عن تلك الكمية المهولة من المواد المتفجرة، وكيف أودعت في المكان ولصالح مَن، وأين ذهب أكثر الكمية المعلنة، ولماذا بقي مقدار منها في موضعه لمدة طويلة مع اضطراب المنطقة، ورخاوة القبضة الأمنية فيها، (وهشاشة الحكومة التي ما إن تقوم حتى تسقط لضعفها السياسي والاقتصادي)؟

كما تلفت النظر سرعة الأطراف المتنافسة أو المتنازعة إلى تبرئة ساحتها أو رمي التهمة صوب غرمائها، وكذلك تقاطرت الدول إلى لبنان على اختلاف مساعيها مِن راغب في العون مع تحقيق مصالحه، ومِن راغب في عون لترسيخ أقدامه، ومِن مريد لنوع من الاحتلال تحت ستار معونة مشترطة أو مقيدة، وأثبتت بعض المنظمات الإقليمية أنها بلا حقيقة ولا حياة ولا حياء!

أما السؤال الأهم فهو: إلى متى ستظل منطقتنا وأمتنا العربية والإسلامية مسرحاً لأحداث لا نستيقن مَن المحرك لها، ولا نرى الفاعل في التعاطي مع نتائجها سوى الأجانب البعداء ذوي التاريخ القاتم من القهر والقتل والاحتلال؟ وهل سيعقب الانفجار وما تلاه من فجور في العداء، وفجور (في) التضليل، وفجور (في) الدموع الكاذبة، فجرٌ صادقٌ تبزغ أنواره لتطرد المرتزقة والسراق ومن يستخفي بالظلم والظلام؟!



علمنة الدين

(نِتاج سياق غربي لا ينطبق على المجتمعات العربية والإسلامية)

■ د. حسام الدين فياض(*)

كما نعلم فإن الحداثة مشروع غربي استهدف القطيعة مع أسس المجتمع الأوروبي القائمة على الدين الكنسي والأعراف والتقاليد التي سادت في القرون الوسطى، وبناء أسس جديدة تُدخل أوروبا التاريخ من جديد. وفي حقيقة الأمر تستمد هذه الفلسفة جذورها من فكر الأنوار في القرن الثامن عشر، حيث قرر فلاسفة الأنوار أن للبشرية تطوراً مرحلياً يصبغ تاريخها الطويل مؤكدين - حسب رأيهم - أن تحررها وانعتاقها سوف يكونان نتيجة أساسية لاستعمال العقل البشري من حيث إنه إقرار للشك المنطقي ورفض لكل حكم مسبق ولكل سلطان مهمين(1).

تم ذلك عندما استكمل الفكر العلمي الحديث سيادته في مختلف المجالات: سواء أكان في علوم الطبيعة أم في العلوم الاجتماعية، بالترافق مع ما يسمى بعصر التنوير، الذي قام على التحرُّر من سلطة الدين وتغليب العقل على الإيمان في المجال السياسي كما في مجال المعرفة الوضعية. وقد تقدَّمت الثورة العلمية لدى الأوروبيين بدءاً من عصر النهضة لديهم: أي بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي، بالتوازي مع النقد الديمقراطي للحكم الملَكي المطلق الذي كان يدَّعي الاستناد إلى حق إلهي(2).

(*) الأستاذ المساعد في النظرية الاجتماعية المعاصرة قسم علم الاجتماع - كلية الآداب في جامعة ماردين - جامعة حلب سابقاً.

(1) عبد الوهاب المسيري، فتحي التكريتي: الحداثة وما بعد الحداثة، حوارات لقرن جديد، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م، ص(٢٠٩).

(2) جلبير الأشقر: العلمانية شرط الحداثة ولا تقدُّم بدونها، مجلة الفيصل، العددان: ٤٩١ - ٤٩٢، ذو الحجة ١٤٢٨ - محرم ١٤٣٩هـ/ سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٧م، ص(٢١).

ومـع أن العلمنة انتصرت علـى امتداد القارة الأوروبية ومستعمراتها الاستيطانية، لم يختفِ الدين في تلك المناطق، بل استـمر في شـكل إيمـانٍ حرٍّ طوعيٍّ حـل محل التدين القسـري الذي كان سـائداً من قبل. ليس هذا فحسب، بل إن تحرر المجتمع والدولة والعلوم والتعليم من هيمنة الدين قـد وجد نظيراً له في تحرر الدين ذاته من هيمنة الدولة، بعـد أن كان الحكم الملكي فـي كل دولة من دول أوروبا قد فرض هيمنته على المؤسسة الدينية (الكنيسة) وحوَّلها إلى أداة سياسية من أدوات سلطته. فأصبحت بذلك العلمانية شرطاً أساسياً للحداثة ولا تقدُّم دونها[1].

وفي هذا السـياق نسـتخدم كلمة العَلمانية بمعنى اللادينيـة، أو الدنيويـة، أو العصـر الراهـن والوقائع الجارية في هــذا العالم مقابل الأبدية والعالـم الآخر. والاسـتخدام الأعم من ذلك يشير إلى أي شيء يرتبط بهذا العالم، والعلماني يعني الشيء المتعلق بهذا العصر أو هذا العالم.

ينقسـم العالم في الأدبيات الفلسـفية والعقلية إلى حيِّزين أو مرتبتين:

الأولى مرتبة اللازمان أو فوق الزمان التي لا يوجد فيها زمان أساسـاً، بل هي أعلى من مرتبة الزمان، أي المرتبة التي تنحصر في عالم المجردات والأرواح[2].

أمـا المرتبـة الثانية فهـي مرتبة الزمـان أو العالم الخاضع لسـيطرة الزمان، ولا شـك في أن عالم المادة من أوسـع عناصر هذا العالم، فالزمـان وليد الحركة، والحركـة مصاحبة دوماً للمادة. من هنا كان عالم المادة وعالم الزمان متسـاوقين ومتطابقين دائماً. وهكذا فإن العلمانيـة خلافـاً للعلمنة التي تشـير إلـى تيار واقعي محـدد واجتماعي، ضرب من المعرفـة والرؤية الكونية ترتبط بالعالم الحالي ودنيا المادة[3].

وبعبارة أخرى تشـير العلمنة إلى عملية يفقد فيها الضمير الديني والأنشـطة الدينية والمؤسسات الدينية اعتبارهـا وأهميتهـا الاجتماعية، وهـذا معناه تهميش الدين في أنشـطة النظام الاجتماعي، وعقلية الأعمال السياسـية فـي الأداء الاجتماعي عـن طريق الخروج عن دائرة نفوذ وإشـراف العوامل المهتمة خصوصاً بما وراء الطبيعـة[4]. بهذا المعنى تشـير علمنـة الدين إلى المسـاس بثوابته الكبرى، ومعظم مـا يرتبط بالمصطلح ومقاصده ليتناول أهم المسـلَّمات التي تُعرَف من الدين بالضرورة[5].

وعلى العموم، ترى العلمانية – حسبما يتم الترويج لها – أن الإنسـان غنيٌّ عن القيم الإلهية، والأخلاقية، والمعنوية، والفضائل الدينية، والتعاليم الوحي. يسـتند إلى مبدأ يحاول تنظيم السـلوك البشـري بتوجيه من مجموعـة مـن الأصـول والقواعد تقوم أساسـاً على المعرفة العقلانية والتجربة البشـرية، لا على الإلهيات أو الأمور فوق الطبيعية. ولكن المضمون الغربي لمفهوم العلمانيـة لا ينطبق على كل السـياقات الدينية؛ وإنما علـى دين محـدد ضمن جملة من الأسـباب والعوامل والمتغيـرات التـي أنتجـت مفهـوم العلمانيـة وروجت لظهوره.

في حقيقة الأمر، يدلنا تتبع السياق التاريخي لبروز مفهـوم العلمانيـة في العالـم الغربـي أن الدين والعلم في مفهوم الإنسـان الغربي متضـادان متعارضان، فما يكـون دينيـاً لا يكون علميـاً، وما يكـون علمياً لا يكون دينياً. فالعلم والعقل يقعان في مقابل الدين، والعلمانية والعقلانية، في الصف المضاد للدين.

لكـن السـؤال الـذي يطرح نفسـه علينـا: ما هي مبررات ظهور العلمانية في الغرب النصراني؟ لقد كان

(١) المرجع السابق نفسه، ص(٢١).
(٢) مجموعة من المؤلفين: العلمانية مذهباً: دراسات نقدية في أسس والمرتكزات، ترجمة: حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٤م، ص(١١٣).
(٣) المرجع السابق نفسه، ص(١١٣ - ١١٤).

(٤) المرجع السابق نفسه، ص(١١٤).
(٥) نبيل شبيب: علمنة الإسلاميين أو أسلمة العلمانيين، موقع الجزيرة نت، تاريخ الدخول إلى الموقع، ٨/ ١٢/ ٢٠١٩م.
- https://www.aljazeera.net/knowledgegate

لظهور العلمانية في الغرب مبرراتها الدينية، والفكرية، والنفسية، والتاريخية، والواقعية، وهي مبررات خاصة بالعالم الغربي، لا تنطبق على العالم العربي والإسلامي، وهي كالآتي:

١- الأسباب الدينية: تنحصر تلك الأسباب بمجموعة من الأسس النظرية والمنهجية، التي تشكل جوهر الديانة النصرانية في توجيه وتأطير حياتها الاجتماعية وسلطتها الدينية، وهي كالآتي:

أ- النصرانية تقبل قسمة الحياة بين الله وبين قيصر: إن النصرانية نفسها تحتوي من النصوص ما يؤيد فكرة العلمانية؛ أي الفصل بين الدين والدولة، أو بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية.

وفي حقيقة الأمر تعترف النصرانية بهذه الثنائية للحياة، بحيث تقسمها قسمين: الأول: لقيصر وهو الجانب الذي يخضع للسلطة الزمنية، سلطة الدولة. أما الثاني: فهو لله، وهو يخضع للسلطة الروحية، أي سلطة الكنيسة. وهذا واضح في قول المسيح عليه السلام، كما يرويه الإنجيل: «وأعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»[1]. ونستدل مِن تتبُّع تاريخ الفكر الغربي، أنه لم يعرف الله، الذي نعرفه نحن المسلمين، محيطاً بكل شيء، منيراً لكل أمر، لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عن علمه ذرة، في السموات ولا في الأرض، وسع كلَّ شيء، رحمةً وعلماً، وأحصى كل شيء عدداً، وجعل لكل شيء قدراً، بعث الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق، ليحكموا بين الناس، فيما اختلفوا فيه[2].

ب- عدم وجود تشريع لشؤون الحياة في الديانة النصرانية: بمعنى آخر لا تملك النصرانية تشريعاً مفصلاً لشؤون الحياة، يضبط معاملاتها، وينظم علاقاتها، ويضع الأصول والموازين القسط لتصرفاتها. إنما هي روحانيات وأخلاقيات، تضمنتها مواعظ

(١) إنجيل متى: الآية: ٢١:٢٢.

(٢) يوسف القرضاوي: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٩٩٧م، ص(٤٧).



الإنجيل، وكلمات المسيح عليه السلام فيه. على خلاف دين الإسلام، الذي جاء عقيدة وشريعة، ووضع الأصول لحياة الإنسان من المهد الى اللحد. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] . ولهذا شمل التشريع الإسلامي الحلال والحرام في حياة الفرد، كما نظم الحقوق والواجبات في دائرة الأسرة، ونظم شؤون المبادلات والمعاملات في المجتمع بين الناس بعضهم مع بعض، كما عني بشؤون الإدارة والمال والسياسة الشرعية، وكل ما يتعلق بحقوق الحاكم والشعب، وكذلك بالعلاقات الدولية بين الأمة الإسلامية، وغيرها من الأمم مسالمين ومحاربين، وهذا ما تضمنه الفقه الإسلامي، الذي يضم في جنباته، كل ما يتعلق بحياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم، إلى بناء الدولة. أما النصراني فليس عنده مثل هذا التشريع، يرجع إليه ويحكم به، أو يحتكم إليه.

وهنا يجب أن نشير إلى أن تطبيق هذا النظام (أي علمنة الدين) على الدين الإسلامي، معناه القضاء على الإسلام، كعقيدة حيَّة مزدهرة، ورسالة إنسانية خالدة؛ ذلك أن المجتمع من السلطة الدينية ومن صبغة الدين مع العلم بأنه لا يوجد في المجتمع الإسلامي من يمثل هذه السلطة. كما في الديانة النصرانية[1].

ج- ليس للإسلام سلطة دينية بابوية: على أن العلمانية، إذا فصلت دين النصراني عن دولته، أو دولته عن دينه، لا يضيع دينه، ولا يزول سلطانه، لأن لدينه سلطة بالفعل قائمة، لها قوَّتها وخطرها ومالها ورجالها. فهناك سلطتان بالفعل في النصرانية: السلطة الدينية ويمثلها البابا ورجال الإكليروس، والسلطة الدنيوية ويمثلها الملك أو رئيس الجمهورية ورجال حكومته وأعوان سلطته؛ فإذا انفصلت الدولة عن الدين هناك بقي الدين قائماً في ظل سلطته القوية الغنية المتمكنة، وبقيت جيوشها (من الرهبان والراهبات والمبشرين والمبشرات) تعمل في مجالاتها المختلفة، دون أن يكون للدولة عليهم سلطان بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية، فإن النتيجة أن يبقى الدين بغير سلطان يؤيده، ولا قوة تسنده، حيث لا بابوية له ولا كهنوت ولا إكليروس[2].

٢- الأسباب المجتمعية: الثورة على الأوضاع والمعتقدات في البلدان الغربية نتيجة الاستبداد باسم الدين وانتشار الفوضى والظلم والاستغلال وغياب العدالة الاجتماعية وفقدان الأمل بدَور وفاعلية القيم الدينية والـمُثل الاجتماعية في إصلاح المجتمع[3].

٣- الأسباب الخفية: تعود إلى أمور سياسية تنحصر في إحكام السيطرة والتوسع وبسط النفوذ (الاستعمار) خارجياً. أما داخلياً فالرغبة في الانفلات من كل القيود التي كانت قائمة في ظل حكم رجال الدين النصارى، فكانت ردة فعل على الطغيان الكنسي وفرْضِه سلطاناً مذلاً على كاهل الناس[4]. وتاريخ الكنيسة يشهد بذلك، أما عن موقف الكنيسة من العلم والفكر والحرية، فقد كان موقفاً سلبياً مخوفاً، حيث وقفت الكنيسة مع الجهل ضد العلم، ومع الخرافة ضد الفكر، ومع الاستبداد ضد الحرية ومع الملوك والاقطاعيين ضد الشعب حتى ثارت الجماهير عليها، وتحرروا من الحكم المباشر لرجالها، واعتبروا عزل الدين عن الدولة كسباً للشعوب ضد جلاديها.

وهذا يعني أن تاريخ الكنيسة في ذهن الإنسان الغربي النصراني يعني الاضطهاد والقتل ومحاكم التفتيش، والمذابح المستمرة بين الطوائف المتنازعة بعضها مع بعض، وعودة السلطة إليها، تعني عودة هذه المآسي، فلا غرو أن ينفر الإنسان الغربي منها، ويقف في سبيل حكمها وتسلطه[5].

ثم السعي إلى ملء الفراغ الذي أحس به المجتمع الغربي بعد إقصاء الدين ورجاله، وتقديم البديل لأفراد المجتمع. وهذه نتيجة منطيقة لسوء الأحوال في الحياة الأوروبية المتمثلة في الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية؛ إذ كان يعيش الأوروبيون في عهود سيطرة رجال الكنيسة من عداوات وتنافر ومن انتشار الجهل والخرافات الجاهلية والبُعد عن الدين الصحيح[6].

٤- الأسباب الفكرية (تقديس الفردية):

كما نعلم أن الحضارة الغربية في جوهرها قائمة على مبدأ الفردية؛ أي اهتمام الفرد بنفسه والمحافظة على ذاته واستقلاله وكيانه، وفيها يتم تقديس الفرد وتقديم حقوقه على حقوق المجتمع ومؤسساته.

وهذا يعني أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات المحيطة به، لأن الفرد هو الغاية التي من أجلها وجدت

(١) يوسف القرضاوي: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ص(٤٨).
(٢) المرجع السابق نفسه، ص(٤٩).
(٣) مجموعة من الباحثين: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إشراف: علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنة، https://dorar.net/
(٤) المرجع السابق نفسه.
(٥) مجموعة من مؤلفين: الإسلام وقضايا العصر (الأزهر والعَلمانية)، إعداد ودراسة وتقديم: محمد عمارة، روابط للنشر وتقنية المعلومات، القاهرة، ص(١١٣-١١٤).
(٦) مجموعة من الباحثين: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مرجع سبق ذكره.



الدولـة. ويقوم المذهب الفردي على أساس إبراز كيان الفرد حتى يجعله مقدساً ويُحرِّم على المجتمع المساس بحريتـه، وليس لـه الحق أن يقول له هـذا خطأ وهذا صـواب. وعلى العمـوم نتج هذا المفهـوم في الحضارة الغربية بسبب عدة عوامل، وهي كالآتي[1]:

- رد فعل على استبداد الاقطاعيين بالأفراد وسلبهم حقوقهم وحرياتهم.
- الانقلاب (الثورة) الصناعي الذي حدث في عصر النهضـة الأوروبية والذي أحدث تغيراً كاملاً في صورة المجتمـع، حيث قَـدِم العمال (البروليتاريـا) فرادى من الريف، يسعى كل منهم إلى تحقيق ذاته، ونفع نفسه.
- تشـجيع الرأسـمالية للمذهب الفـردي، لقيامها على أساسـه ودفاعها عنه دفاعاً عنيفاً، وكان شعارهم الذي رفعوه (دعه يعمل دعه يسـير)؛ أي دع الفرد يعمل ما يشـاء بلا حواجز وقيود، دعه يمـر بلا عوائق حتى لو كانت المصلحـة الفردية ضد مصلحة الأغلبية وعلى حسب حقوقهم.

ربطاً مع ما تقدم نشـير إلى أن أول ظهور للعلمانية كممارسـة سياسـية كان فـي القرن الثالث عشـر في أوروبا للفصل بين السلطة الزمنية والروحية (الكنيسة) والمطالبـة باسـتقلال الملك عن الكنيسـة وإنهاء صراع الباباوات وبخاصة في فرنسا. وبعد قرنين من الصراع العنيف حدث الصلح بين المفكرين وعلماء اللاهوت ولا سـيما أن انخراط الكنيسـة في السياسة كان بمخالفة بالإعلان الإنجيلي. وتم الاقتناع بأن فصل السـلطة عن الدين هو الأسـاس وهو الأصـح. وبدء العودة للأصل الذي قَبِله المسـيح عليه السلام في وجوده على الأرض وهـو (أن إدارة الـدول مـن رجال السياسـة من خلال القوانين الوضعية هي الأسـاس، وأما الالتزام بالوصايا الروحية هي مسؤولية شخصية تختص بعلاقة الإنسان بالله، وهي لا تتعارض مع النظم الأرضية ولا تسبب أي اضطرابات اجتماعيـة). إن الفصل بين الدين والدولة وصياغـة المصالحة بينهما وعـدم الاصطدام والتوافق هو الإبداع الـمُعجزي الذي قدمه العهد الجديد لتكون رسـالة الإيمان النصراني ليسـت في عداوة مع النظم الأرضية والإدارات السياسة.

وللتوضيح أكثر يشـرح لنا اللاهوتي البروتسـتانتي فريدريك غوغارتن حقيقة موقف النصرانية من العلمنة فـي أن العلمنة تجـد جذورها في الإيمـان النصراني نفسه، فهي من ثَمَّ ظاهرة لاحقة للنصرانية، أو بالأحرى منبثقة بتأثير نصراني؛ فالإيمان بأن الله هو الذي خلق العالم يجعل الإنسـان في يقين بأنـه جُعِلَ (ما بين الله والعالم)[2].

وبالمسـيح (حسـب رأيه) أصبح الإنسـان ابناً أي وريثـاً؛ فاللـه إذا أوكل إليـه مهمة جعـل العالم مجالاً لسـيطرته، وبهذا المعنى يقـول بولس للنصارى: «إن كل شـيء مباح»، ويـرى غوغارتن في هذا الكلام المفتـاح الأسـاسـي للاهوت العلمنة، فهذا القول ينشـئ «دنيوية العالم» ويسـتبعد فكـره وجود مجال يكـون إلى جانب الآخر، معتبراً مقدسـاً، لكن اللاهوت لا ينسـى تكملة النـص المذكـورة أعـلاه «ولكـن ليس كل شـيء ينفع»؛ فعلى الإنسـان أن يميز بين الأمـور، والتمييز هو الذي يجريه بواسـطة عقله، والعقل من ثَمَّ هو الوسـيلة التي

(١) أبو زيد بن محمد مكي: ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، دراسات نقدية (١)، ٢٠٠٨م، ص(١٣-١٤).

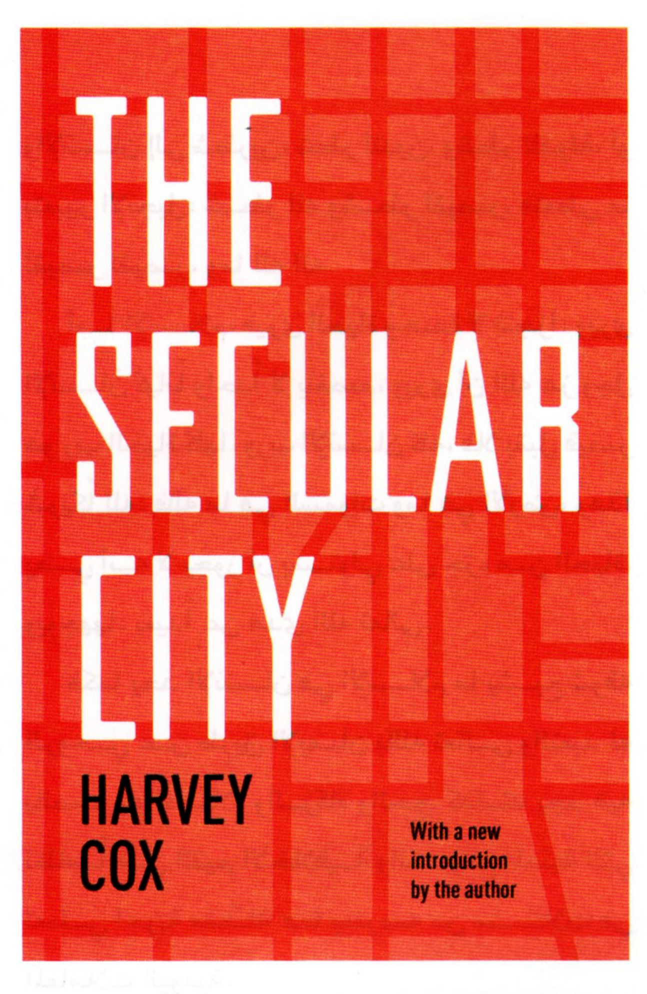
(٢) حنان خياطي: كيف واجهت الكنيسة تحديات العلمانية، شبكة الألوكة، بدون تاريخ، ص(٥).

بها يسيطر على العالم، وعليه ألا يتخلى أبداً عنها، فإن فعل خان دعوته، والإيمان هو الذي يعطيه القناعة بأنه مسؤول أمام الله في كيفية استخدام هذه الوسيلة، وهكذا فإن استقلالية العقل (العقل الذي هو مبدأ العلم والتقنية الذين يحولان العالم) تستنتج من العالم النصراني[1].

إذن لاهوت العلمنة يرتكز على إجراء تمييز واضح ما بين الله والإنسان، ما بين الإيمان والعالم، وعلاقة الإنسان مع العالم بإخضاعه الطبيعة هما علاقتان مرتبطتان الواحدة بالأخرى ارتباطاً وثيقاً، ومن الممكن أن يؤدي فك الارتباط ما بينهما إلى إحداث اختلال في التوازن الأمثل؛ فعلى الإنسان أن يحافظ على طهارة الإيمان وعلى دنيوية العالم، ولله وحده ملكية المعنى الأخير، ولله وحده ملكية وحدة التاريخ، أما الإنسان فعليه أن يبقى في تساؤل غير منقطع، لأنه إذا انقطع الإيمان عن التساؤل وتحول إلى دين يبني العالم نصرانياً، نتج عن ذلك خطيئة، تشبه ما فعلته النصرانية التاريخية على مرِّ العصور حينما لم تعطِ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله وما للعقل للعقل[2].

أما اللاهوتي هارفي كوكس يرى في كتابه «المدينة العلمانية The Secular City» ١٩٦٥م أن النصرانية تعتبرُ علمنة الدين أمراً حتمياً لا يمكن رفضه أبداً على اعتبار أن العلمنة هي نتيجة منطقية لاعتقادات الإنجيل[3].

وبعبارة أخرى، فإن العلمنة في رأي كوكس هي تحرير الإنسان من الرعاية الدينية الغيبية، ونقل انتباهه من البحث في العوالم (الغيبية) الأخرى إلى حصر ذهنه في الحياة الدنيوية. لأنه صار أمراً إلزامياً، على حدِّ قوله، ومن هنا لم يكن جديراً بالنصرانية



أن ترفض العلمنة، لأن العلمنة تمثل نتيجة حقيقية لاعتقادات الإنجيل. وعليه فإن من واجب كل نصراني أن يقبل العلمنة ويحافظ عليها، وبدلاً من أن يتخذ النصرانيون موقفاً عدائياً؛ فإن العلمنة تمثل فكراً أصيلاً من الإيمان بالإنجيل، وعلى العكس من ذلك معارضتها، فكان من واجب النصارى أن يدعموا العلمنة ويعملوا على تنميتها[4].

وفي النهاية نستنتج أن مفهوم التحرير العلماني، الذي يلغي سلطة الدين على المجتمع، هو مفهوم قد يتفق مع بعض الأديان وليس جميعها، فعلى سبيل المثال يعتبر الدين الإسلامي الحنيف الدنيا والآخرة والدين والحياة سياقات متواصلة؛ أي أن الإسلام يواجهها بشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية: مادية ومعنوية، فردية واجتماعية، لكن العلمانية لا تسلم له بهذا الشمول، فلا مفر من الصدام بينهما. وإذا كانت النصرانية - كما ذكرنا سابقاً - قد تقبل قسمة الحياة

(١) المرجع السابق نفسه، ص(٥-٦).
(٢) المرجع السابق نفسه، ص(٦).
(٣) حمدان مغربي: العلمنة والعلاقة بين الدين والدولة في إندونيسيا: موقف نور خالص مجيد نموذجاً (دراسة تحليلية)، مجلة القدس الدولية للدراسات الإسلامية، المجلد: ٤، العدد: ١، فبراير ٢٠١٦م، ص(١١٧).

(٤) المرجع السابق نفسه، ص(١١٧).

والإنسان إلى شطرين: شطر للدين، وشطر للدولة، أو بتعبير الإنجيل: شطر لله وشطر لقيصر، فتعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله.

أما الإسلام، فيرى الحياة وحدة لا تتجزأ، ويرى الإنسانَ كياناً واحداً لا ينفصم، ويرى أن الله عز وجل هو رب الحياة كلها، ورب الإنسان كله، فلا يقبل قيصر شريكاً له؛ فلله ما في السموات وما في الأرض، وهذا يعني أنه لا يجوز أن يستولي على جزء من الحياة، ويوجهها، بعيداً عن هدى الله تعالى.

فكما يجد الإنسان في الإسلام ما يشبع شوقه الروحي عن طريق الإيمان بالله تعالى والتعبد له بالصوم والصلاة والزكاة والحج، كذلك يجد فيه نظاماً من القيم الأخلاقية والشرائع المدنية التي تعطي أجوبة مفصَّلة عما يعترضه من مشكلات في المعاملات اليومية.

وهنا يجب أن نشير إلى أن الإسلام لا يعرف الكهانة، ولا توجد فيه طبقة كهنوتية تحتكر الدين وتتحكم في الضمائر، وتغلق على الناس باب الله إلا عن طريقها، عنها تصدر قرارات الحرمان، أو صكوك الغفران. إنما كل الناس في الإسلام رجال لدينهم، ولا يحتاج المرء فيه إلى واسطة بينه وبين ربه، فهو أقرب إليه من حبل الوريد. وعلماء الدين ليسوا إلا خبراء في اختصاصهم، يرجع إليهم كما يرجع إلى كل ذي علم في علمه، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فمن حق كل مسلم - إذا شاء - أن يصبح عالماً دينياً بالدراسة والتخصص، لا بالوراثة، ولا باللقب، ولا بالزي، فلا احتكار في هذا ولا تحجير، فالإسلام يرفض التقسيم المستورد للناس والمؤسسات إلى ما هو ديني، وما هو غير ديني، فلا انقسام للناس ولا للتعليم ولا للقوانين ولا للمؤسسات، فكلها يجب أن تكون في خدمة الإسلام.

وهذا يعني بكل وضوح أن مفهوم العلمنة مفهوم نابع من وجهة نظر السياق الغربي - النصراني استوردها ونشرها بعض المفكرين المسلمين في مجتمعاتهم بغير إدراك جيد للأسس التاريخية والفلسفية واللاهوتية والسوسيولوجية لهذه الفكرة. فالدين لا يبتعد عن الشأن العام، ولكن تقاس درجة علمنة المجتمعات بمدى تقلُّص وزنه السياسي.

من أجل هذا لا يمكننا تصور أن علمنة الدين الإسلامي ستنجح لأنها عملية فاشلة ومناقضة لطبيعة الدين الإسلامي، كما أن الراسخين في العلم يدركون جيداً أن الفكرة الإسلامية شاملة لا تتجزأ، وكاملة غير منقوصة؛ إذ تهتم بكل المجالات التي ترتبط بالإنسان وواقعه، إما تأصيلاً وإما تفصيلاً باعتبار الإسلام نظاماً اجتماعياً ومشروعاً حضارياً متكاملاً فهو دين شامل لكل ما فيه الخير للإنسان، وهو رسالة عامة للإنسان أينما كان، ووقتما كان، فكما هو شامل وعام، فهو صالح لكل مكان وزمان.

ويستمد الإسلام صلاحيته وعالميته من قدرته على أنه يقدم الحل الناجع للإنسانية، من القلق والضياع والخوف على المصير، كما يعطي نموذجاً للحياة الاجتماعية الأفضل، وفي هذا الصدد تقول الباحثة الإيطالية لورافيشيا فاغليري: «إن الناس بحاجة إلى دين يتفق وحاجاتهم ومصالحهم الدنيوية، ولا يكون قاصراً على إرضاء مشاعرهم وإحساساتهم، ويريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وطمأنينتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وليس هناك دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى الإسلام؛ إذ إنه ليس مجرد دين فحسب (فلسفة حياة)، إنه يُعمِل التفكير الصائب، والعمل الصالح، والكلام الصادق، ولهذه الأسباب يتخذ سبيله إلى عقل الإنسان وقلبه في غير عُسْر»[1].

---

(١) لورا فيشيا فاغليري: دفاع عن الإسلام، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ص(٩٠).